الآراء النقدية والأدبية في كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)

م.م اسعد غالي محمد جامعة القادسية / كلية الطب
Asadghaly 74@gmail.com

مستخلص البحث

القراءة والتنقيب في مكتبة التراث الادبي والنقدي العربي مغامرة ماتعة تحفز الباحث وتدفعه الى التسلّح بأدوات نقدية متنوعة في سبيل خوض غمار المتون الإبداعية والتصنيفية التراثية. ومن هنا سعت القراءة النقدية الى محاولة كشف اسرار احد المتون الضخمة التي تتجلى بكتاب (خزانة الادب و لب لباب لسان العرب) لعبد القادر البغدادي بوصفه كتاباً تراثياً موسوعاً يهتم بالمسائل النحوية والخلاف بين النحات ، لكن الفاحص يبحث عن قراءة مغايرة تسعى للكشف عن الآراء النقدية والمسائل المعارضة للسائد المألوف في القول النقدي والادبي بالإضافة الى الخلاف النحوي ، ومن هنا شرع الباحث في تلمس ملامح النظر النقدي عند البغدادي ومحاولة رصد الآراء النقدية والأدبية المبثوثة في طيات أجزاء هذا التراث الضخم ، وهي محاولة تسعى الى إعمال النظر النقدي ورصد محاولات المصنف في بث آرائه النقدية ومعارضاته للأدباء ورجال التأليف النقدي بالشعر والنثر ، مضافاً الى آرائهِ في الخلاف النحوي وقد تحقق ذلك برصد جملة من النتائج كان منها محاولة الرجوع الى أصول الروايات التاريخية في رواية الأدب ، والبحث عن أصول الشعراء ، ومخالفة آراء النقاد المشهورين في عصره وغير ذلك مما يثبت الملكة النقدية للبغدادي مع ملكته بالنظر النحوي ومسائل الخلاف بين النحاة .

Abstract

Reading and discussing the library of Arabic literary and linguistic heritage is an engaging endeavor that challenges researchers and compels them to equip themselves with various critical tools to navigate the depths of creative and classificatory heritage texts. In this context, critical reading seeks to uncover the hidden aspects of significant texts, particularly Khazanat al-Adab wa-Lubb Lubāb

Lisan al-Arab by Abd al-Qadir al-Baghdadi. This encyclopedic heritage work primarily addresses grammatical issues and disputes among grammarians.

However, a deeper analytical approach aims to provide an alternative reading that uncovers critical perspectives and dissenting viewpoints within the established norms of literary and critical discourse, alongside the well-known grammatical debates. Consequently, this study investigates the critical perspectives of al-Baghdadi by tracing the literary and critical views embedded within the different sections of this vast heritage work.

The study attempts to apply critical analysis to examine how al-Baghdādī articulates his critical opinions, challenges other literary figures, and engages with scholars of poetic and prose criticism. Additionally, it explores his stance on grammatical disputes. This research has yielded several findings, including an effort to trace the historical origins of transmitted literary accounts, investigate the origins of poets, and challenge the opinions of prominent critics of his time. These findings highlight al-Baghdadi's critical acumen, alongside his deep engagement with grammatical issues and debates among grammarians.

المقدمة

تنطلق الرؤية النقدية من فحص كتاب خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ومحاولة الكشف عن الآراء النقدية والأدبية الخاصة بالمؤلف، وذلك بعد ان كشف الباحث عدم وجود دراسة بالمضمون ذاته، لا سيما ان حجم الكتاب ضخمٌ جداً يصل الى (١٣) ثلاثة عشر جزء وهو سياحة في الادب كما هو سياحة في علم النحو والصرف وعجبت كيف يخفى هذا الموضوع على الدارسين، لا سيما وأنك بين يدي كتاب له من الشهرة ما لا يستطيع كل طالب أدب وعلم ان ينكرها.

ان كتاب البغدادي عبارة عن كنز لدارس الأدب لما فيه من آراء قيمة وتحقيقات جليلة حول الادب وترجمات لأصحاب الادب والشعراء والكتّاب وفي مسيرة هذا البحث عرضت لبعضٍ قليل من هذه الآراء القيمة التي لا يسع البحث لأكثر منها ، بوصفه بحثاً صفّياً مختصراً ، فتناولت في مبحثه الاول حياة مؤلفه واهم إنجازاته الأدبية وهو جزء من الوفاء لهذا الرجل العظيم رحمه الله ، وفي مبحثه الثاني تناولت بعض

من آرائه النقدية الأدبية وتفصيلها موجود في كتابه ، وقد عانى الباحث من لغة الكتاب المعجمية القديمة، وان الآراء متناثرة في الكتاب لذلك احتاجتْ ان تقرأ بتمحيص وعناية مما يتطلب الجهد في استخراجها ، ولم تسبق هذه الدراسة – حسب علمي – دراسة مشابهة حيث يوصي الباحث ان يدرس الكتاب بشكل علمي منهجي اذ ان الآراء الموجودة فيه قد تنهض ببحث لرسالة ماجستير وفي الخاتمة لعلي أكون قد اصبت جزءاً من حقيقة هذا الكتاب الكبير والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

يعد كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب من اكبر موسوعات علوم العربية وآدابها انتشاراً في القرن الحادي عشر الهجري، تألفت مادة الكتاب من النصوص النادرة ومن ثم التحقيق لهذه النصوص، من أمثال العرب والنصوص الشعرية والأدبية والنثر بكل اشكاله، كذلك بيان مضاربها واصولها، وكذلك مسنده للغات القبائل ولهجاتها، وعدد مجلدات هذا الكتاب هي ثلاثة عشر مجلداً وعدد صفحاته ٦٥٠٠ صفحة وتم نشره سنة ١٩٩٧ م ، مؤلفه عبد القادر بن عمر البغدادي (سنة ١٠٩٣ هـ) والذي سيأتي بيانه في المبحث الأول لهذا البحث .

ويعد هذا الكتاب من اشهر المؤلفات في العصر العثماني، اتخذ فيه البغدادي ذكر الشاهد النحوي سبيلاً الى ضبط روايته وشرحه والترجمة لصاحبه وذكر بعض اخباره المشهورة، وكان لا يكتفي بذكر الشاهد بل يضمه لما سبقه وما يليه من الابيات الشعرية والذي يتوقف عليه معناه، واحياناً يذكر القصيدة بأكملها اذا كانت من النوادر ، مع شرح غريبها والسبب من قولها وبهذا يكون قد حفظ في كتابه كثيراً من التراث العربي .

ان كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ليس كتاباً نحوياً كما يشاع عنه انما احتوى في سطوره على آراء نقدية أدبية وتحقيق هائل للنصوص الأدبية وشرح للمعاني التي قد يختلف فيها المؤلف احياناً مع غيره فيها، لذا يعد هذا الكتاب كنزاً ينتظر من يخرجه ويخرج آراءه النقدية الى ساحة العلن.

المبحث الأول: الأديب عبد القادر بن عمر البغدادي

حياته وانجازاته الأدبية

ولد عبد القادر بن عمر البغدادي في بغداد سنة (١٠٣٠ هـ)[١] ولا تفيدنا المراجع كثيراً عن اسرته ونشأته في بغداد، ولكن بشكل عام درس علوم اللغة العربية في بغداد وصار بارعاً ومطلعاً على اقسام كلام العرب

النظم والنشر، راوياً لوقائع العرب وحروبهم وايامهم، وكان يحفظ مقامات الحريري وكثير من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم، وتعلم اللغتين الفارسية والتركية بإتقان، وحفظ الاشعار الحسنة منهما، وصار خبيراً بأخبار الفرس وتاريخهم وكان حنفي المذهب.

كانت بغداد عند ولادة البغدادي تتبع الدولة العثمانية التي كانت تمر بمرحلة شديدة من الاضطراب وانتهز الشاه عباس ملك الدولة الصفوية في ايران ما تعانيه الدولة العثمانية فقام باحتلال بغداد سنة (١٠٣٣هـ) وفي سنة ١٠٤٤ قام السلطان العثماني مراد الرابع بتجهيز جيش لاستعادة ما خسرته الدولة العثمانية من أراض ، واختتم ذلك بأن توجه بنفسه في سنة (١٠٤٨هـ) لحصار بغداد حتى استسلمت حاميتها فأرسل الشاه يطلب الصلح فقبله السلطان مراد[٢] وفي ظل هذه الحروب رحل عبد القادر البغدادي في سنة (١٠٤٩هـ) الى دمشق فأقام بها في مسجد ودرس بها على يد نقيب اشرافها ال حمزة ، محمد بن محمد كمال الدين بن محمد الحسيني الحنفي، وكان نحوياً مجيداً وشاعراً فاضلاً ، له علم بالحديث والأدب والفقه الحنفي، حيث اخذ من الأخير علمه وهو شاب لأنه كان تقريباً مساوياً للبغدادي في عمره[٣].

رحل البغدادي الى مصر سنة (١٠٥٠هـ) ودرس في الازهر على كبار مشايخ علوم الشريعة واللغة والأدب، فدرس على يد الشيخ ياسين الحمصي ((ياسين بن زيد الدين)) المولود في حمص والمتوفى سنة (١٠٦٦هـ) بمصر والذي كان يجيد الفارسية والتركية ، ويحمل رتبة قضاء القدس، ودرس على يد برهان الدين الميموني الشافي والمولود سنة (٩٩١هـ) والمتوفى سنة (١٠٧٩هـ) وهو من علماء التفسير والحديث وكان مشهوراً بعلمي المعاني والبيان، ودرس كذلك على يد القارئ الفقيه الشافعي الكفيف الزاهد (نور الدين الشبراملسي) علي بن علي المولود سنة (٩٩٧هـ) والمتوفى سنة (١٠٨٧هـ) .[٤]

ولكن أكثر دراسته وملازمته كانت على يد قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي احمد بن محمد بن عمر المولود سنة (٩٩٧هـ) والمتوفى سنة (١٠٦٩هـ) وهو وان كان قاضياً حنفي المذهب الا انه كان اديب زمانه ومؤرخ ادباء عصره، ألف كتابين هما ريحان الادباء، وكتاب خبايا الزوايا بما في الرجال من بقايا، وله كتب في اللغة والأدب والتفسير، وقرأ عليه البغدادي كثيراً من هذه العلوم وأجازه بذلك وبكل مؤلفاته، وكان الخفاجي مع جلالته وعظمته يراجع البغدادي في المسائل الغريبة لمعرفته مضافا لسعة اطلاعه وطول باعهِ في اللغة.

صار عبد القادر البغدادي عالم عصره في اللغة والادب وقال عنه معاصروه هو أحسن المتآخرين معرفة باللغة والاشعار والحكايات البرية، مع التثبت من النقل وزيادة الفضل والانتقاء والحسن، ومناسبة ايراد كل شي في موضوعه، مع اللطافة وقوة المذاكرة وحسن المصارحة.

وكان البغدادي رحمه الله يعترف بالفضل لشيخه الخفاجي ويرى نفسه قطرةٌ في بحرهِ [٥]، وهذا هو تواضع العلماء الاصلاء، ولما توفى شهاب الدين الخفاجي سنة (١٠٦٩هـ) تملك البغدادي معظم كتبه وجمع كتباً كثيرة غيرها، فصار عنده مكتبة من أكبر مكاتب القاهرة، قيل انها ضمت ألف ديوان من دواوين العرب العاربة. ويبدو إن بعض كتبه وصل الى العلامة المرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس فقال بعد ان استشهد ببيت: كذا وجدته بخط العلامة عبد القادر البغدادي رحمه الله تعالى [٦]

وهناك من يصنف القرون التي تلت القرن السادس بقرون الانحطاط، وهي تسمية فيها كثير من التجنّي، والحق ان كل قرن من القرون التي تلت هذا القرن – الخامس والسادس- كان فيه مؤرخون وادباء ومفكرون، منهم من وصلتنا مصنفاتهم ومنهم من لم تصل وفيهم الجود المنسي وفيهم المكرر المقلد، وقد دحض هذه الفكرة الدكتور محمد الخفاجي في رسالته فقال: وان القرن العاشر قد شهد الحافظ المؤرخ الحجة شمس الدين السخاوي، والحافظ المفسر النحوي الجامع للفنون والمعارف جلال الدين السيوطي.

وإذا جئنا الى القرن الحادي عشر الهجري وجدنا علماء كبار منهم شهاب الدين الخفاجي وعبد القادر بن عمر البغدادي صاحب خزانة الادب وهو من مفاخر التأليف العربي الى يومنا هذا. [٧]

وكتابه ((خزانة الادب)) مبني على كتاب الكافية في النحو الذي الفه جمال الدين بن الحاجب، عثمان بن عمر المولود سنة (٥٧٠هـ) والمتوفى سنة (٦٤٦هـ) وهو من كبار علماء العربية، وقد شرحه كثيرون منهم الرضي الاستراباذي محمد بن الحسن المتوفى سنة (٦٨٨هـ) وجاء عبد القادر ليشرح الشواهد الشعرية التي استدل بها الاستراباذي في شرحه للكافية، وقد نفذ البغدادي من خلال هذا الكتاب وشرحه الى تراجم الشعراء والادباء والعلماء واتى فيه بجميل الآراء والاستدراكات على الرضي الاستراباذي.

مكانته العلمية

قال عنه المحبّي : نزيل القاهرة الأديب الصنف الرحال الباهر الطريقة في الاصالة بالمعارف والتضلع من الذخائر العلمية وكان فاضلاً بارعاً مطلعاً على اقسام كلام العرب المنظوم والمنثور، وقال عنه عبد العزيز رباح واحمد يوسف الدّقاق: وان المطلع لكتابه هذا[٨] او لخزانة الأدب، ليعجب من سعة اطلاعه وغزارة

مادته وجمال تأليفه واستحضاره للأمثال والشواهد وما يتعلق بها من علوم العربية على اختلاف الوانها ما بين تفسير وتاريخ وشعر ولغة...الخ معتمداً على اقوال الائمة الاعلام فيما ينقله عنهم بأمانة واتقان مع غربلة وتحميص وموازنة وترجيح دون تعصب فيما يرويه عنهم ، بل رائده الصواب حيثما كان[٩] وكان الخفاجي مع جلالته وعظمته، يراجعه في المسائل الغريبة لمعرفته مضاعفاً وسعة اطلاعه وطول باعه[١٠]

مؤلفاته

أكثر مؤلفات البغدادي تدور حول شروح شواهد العربية حتى صار مختصاً في هذا الباب وفي مقدمة هذه المؤلفات.

١- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، وهي شرح لشواهد الكافية للمحقق الرضي، مطبوع.
٢- شرح شواهد الشافية، وهي للمحقق الرضي والجاربردي – مطبوع.
٣- حاشيته على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام – مطبوع.
٤- شرح ابيات المغني اللبيب – مطبوع.
٥- شرح شواهد شرح التحفة الوردية في النحو لابي الوردي – مطبوع.
٦- شرح مقصورة ابن دريد.
٧- لغة شاهنامة، شرح فيه باللغة التركية غريب الالفاظ الفارسية في كتاب شاهنامة
٨- شرح التحفة الشاهدية المنظومة باللغة التركية.
٩- رسالة في معنى التلميذ.

وفاته

هجمت عليه علة قاسى منها آلاماً شديدة، وكان امره في نيل امانيه مأخوذاً على التراضي، فعالجه الملال والسامة، وضاق به الامر فتوجه الى معرة مصرين وعاد مرة ثانية الى اسلامبول، فأبتلى برمد في عينيه حتى قارب ان يكفه، وذلك في سنة سبع وثمانين وألف كما ذكر في خاتمة كتابه شرح ابيات مغني اللبيب [١١] فتوقف عن الشرح حتى عادت اليه صحة عينيه، فباشر إتمام الكتاب حامداً الله سبحانه على ذلك الشفاء.

فتوجه عائداً الى مصر وهو المكان الذي يهواه وازدهرت فيه علومه لكنه لم يلبث طويلاً حتى عاجلته المنية في أحد الربيعين سنة ثلاث وتسعين وألف.

المبحث الثاني

الآراء النقدية والأدبية للبغدادي في كتاب خزانة الأدب:

ان الناظر في كتاب خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي يظن للوهلة الاولى ان الكتاب نحوي بامتياز قد تطرق فيه الى القضايا النحوية ، وهو شرح للشواهد التي وردت في الكافية ، ولكنّ النظر المتمعن بين السطور يظهر حقيقة أخرى وهي ان البغدادي يمتلك حساً نقدياً ادبياً مرهفاً ، وقدرة على التحليل النقدي المعتمد على الثقافة الواسعة والاطلاع العميق في الأدب العربي كما وانه لا يبخس المسائل التي تحتاج الى نظر ، بل يطيل النظر فيها من اجل الوصول الى نتائج طيبة ، والمتلمس لهذه النتائج يراها تنم عن ذوق مرهف وكذلك تفكير سليم معتمد على المنطق في فهم تلك المسائل. ان أكثر هذه المسائل لم تكن قسرية من البغدادي وانما كانت عابرة بمقدار ما كان يتطلبه الايضاح والمعنى الذي قد يدخل في مجال بحثه، وقد لا يعد هذا البحث وبهذه العجالة تناول كل المسائل النقدية لان الكتاب كبير وفيه من الآراء القيمة ما يحتاج الى التمحيص، ولكن في حدود ما استطاعت يد الباحث الوصول اليها فسنقوم بعرضها كما يأتي:

اولاً: - مسألة الضرورة الشعرية

لقد فّصل البغدادي في الضرورة الشعرية، وذلك في تعقيبه على رأي ابن مالك صاحب الالفية في جواز دخول ((ال)) التعريف على الفعل المضارع، وكان رأيه كما يأتي ((واعلم ان صريح مذهب الشارح المحقق في الضرورة)) هو المذهب الثاني وهو ما وقع في الشعر – أي جواز دخولها منوط بالضرورة – وهو مذهب الجمهور. وذهب ابن مالك الى انها ما ليس للشاعر عنه من روحة ، فوصل ال بالمضارع عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، ولقد صرح به في شرح التسهيل فقال : ان مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لا مكان ان يقول الشاعر : صوت الحمار يحب وما من يرى للخل ، والمتقصع ، واذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففي ذلك اشعار بالاختيار وعدم الاضطرار))[١٢] وهنا يأتي البغدادي مطلقاً رأيه النقدي ببطلان رأي ابن مالك مع إعطاء الدليل حيث يقول ((وما ذهب اليه باطل من وجوه))[١٣] وهي دلالة على فهمه واستيعابه موضوع الضرورة الشعرية وذلك من خلال المناقشة النقدية التي سنوردها ((احدها اجماع النحاة على عدم اعتبار هذا النزع وعلي اهماله في النظر القياسي جملة . ولو كان معتبراً لنبهوا عليه.

(الثاني) ان الضرورة عند النحاة ليس معناها انه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر، اذ ما من ضرورة الا ويمكن ان يعوض من لفظها غيره، ولا ينكر هذا الا جاحد لضرورة العقل. هذه الآراء في كلام العرب من الشياع في الاستعمال بمكان لا يجهل ولا تكاد تنطق بجملتين تعريان عنها، وقد هجرها واصل بن عطاء

فكان لثقته فيها، حتى كان يناظر الخصوم ويخاطب على المنبر فلا يسمع في نطقه راء، فكان احدى الاعاجيب حتى صار مثلاً ولا مرية في ان اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير)) [١٤] ومن هذا يطلق الحكم العقلي مؤكداً حكمه النقدي الأول بفساد رأي ابن مالك:

((وإذا وصل الامر الى هذا الحد أدى ان لا ضرورة في شعر عربي. وذلك خلاف الاجماع)) [١٥] ثم يكمل البغدادي قوله في الضرورة الشعرية شارحاً ومكملاً لما بدأ به في الاعتراض على ابن مالك قوله: ((وانما معنى الضرورة ان الشاعر قد لا يخطر بباله الا لفظة ما تضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع الى زيادة او نقص او غير ذلك، بحيث قد يتنبه غيره الى ان يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة)) [١٦]

وقد ارجع البغدادي قوله هذا في الضرورة في الشعر الى ساعة النطق بها من قبل الشاعر وليس هناك متسع من الوقت، هذا الوقت الذي قد يمنح لغيره فيما بعد فيستطيع إزالة تلك الضرورة، أي ان الضرورة عند الشاعر هي وليدة اللحظة التي احظرته لقول هذه الضرورة.

ثم يكمل البغدادي استدراكه قائلاً:

(الثالث) انه قد يكون للمعنى عبارتان او اكثر واحدة يلزم فيها ضرورة الا انها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك انهم في هذه الحال يرجعون الى الضرورة لان اعتنائهم بالمعاني اشد من اعتنائهم بالألفاظ))[١٧] وهذا ايضاً رأي معضّد للمعنى المراد الإفصاح عنه في الضرورة ، أي ان هناك معنيان في مفردتين : تكون احدهما ضرورة فيلبي الشاعر لها المراعاة البلاغية في التوصيل للمعنى وهو تعليل للغاية من استخدام الضرورة الشعرية ، وبمعنى اخر احياناً تكون البلاغة هي الفصل في استخدام اللفظ الذي قد يجر الى الضرورة الشعرية لاهتمام العرب بالمعنى اكثر من اهتمامهم باللفظ .

ثم يكمل البغدادي استدراكه على قضية الضرورة عند ابن مالك قائلاً: (((الرابع) ان العرب قد تأبى الكلام القياسي لعارض زحاف ، فتستطيع المزاحف دون غيره او العكس ، فتركب الضرورة لذلك))[١٨]

وهنا تطرق البغدادي للجانب الموسيقي ودوره في خلق الضرورة الشعرية من خلال استطابه موضع الزحاف او العلة في البحر الشعري الذي يكون احياناً جزء من ايراد المعنى في ذهن المتلقي من خلال الجرس الموسيقي الذي يحدثه الاختلال العروضي المتناوب في ذهن السامع.

ثانياً: رأيه في الاستشهاد في الشعر الإسلامي والحديث النبوي:

لقد كان للبغدادي رأي في جواز الاستشهاد بالشعر الإسلامي والحديث النبوي الشريف فيما يراد ايراد صحته في النحو، وهي مسألة خلافية دارت بين العلماء فيما يستشهد به من الشعر والنثر وكان رأيه كما يأتي ((وأقول الكلام الذي يستشهد به نوعان شعر وغيره))

فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع (الطبقة الأولى) الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، مثل أمرئ القيس والاعشى. (الثانية): المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، مثل البيب وحسان (الثالثة): المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام مثل جرير والفرزدق. (الرابعة) ويقال لهم المحدثون، وهم من بعدهم الى زماننا مثل بشار بن بُرد وابي نواس [١٩]))

ومن هنا وبعد تعداد طبقات الشعراء يذهب البغدادي الى إطلاق رأيه النقدي بخصوص هذه الطبقات ومن يجوز الاستشهاد بشعره منهم وبعده يثبت من دون تقديم الأسباب كما يفعل مع الحديث النبوي الشريف

يقول البغدادي:

(فالطبقتان الاوليان) يستشهد بشعرهما اجماعاً. واما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامهما) [٢٠]

فكلمة (صحة) تعني ميلانه الى الاستشهاد وهو المفهوم من كلمة الصحيح في صدر الخبر، وهو حكمٌ نقديٌ ادبي بامتياز.

ثم ينتقل البغدادي الى بيان الطبقة الرابعة من الشعراء مطلقاً حكماً نقدياً في عدم الجواز بالاستشهاد بشعرهم قائلاً:

((واما (الرابعة) فالصحيح انه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري، وتبعه الشارح المحقق، فانه استشهد بشعر ابي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح)) [٢١]

وقوله (الصحيح) يعني انه يذهب الى عدم الجواز في الاستشهاد بشعرهم واما قوله (قيل) فأنه تضعيف الجواز الاستخداد من البعض بدلالة قيل وهي قرينة تدل على ضعف الاستشهاد بشعرهم.

ثم انتقل الحديث الى الزمخشري ومنهجه في تفسير أوائل البقرة من الكشاف، وهنا يطلق البغدادي حكماً نقدياً بخصوص الرواية وجواز الاستشهاد بها بعينها وان كان ما ينقل فيها فاسداً او غير مسندٍ او كانت خطأ بدليل ان القول منقول من عصر يجوز الاستشهاد بقوله، أي جعل من الرواية بغض النظر عن

مضمونها يجوز الاستشهاد به وهذا ما نص عليه قوله ((ومن البيّن ان اتقان الرواية لا يستلزم اتقان الرواية. وفي الكشف ان القول رواية خاصة، فهي كنقل الحديث بالمعنى) [٢٢] وهذا بالضبط ما أشار اليه في الاستشهاد وبالأحاديث النبوية الشريفة وهو حكمٌ نقديٌ واضح تناوله بأسهاب ونحاول ان نختصر قوله فيه: (الجيد هو الأول، اذ ما بعد المتقدمين لا يجوز الاستدلال بكلامهم فهم طبقة واحدة ولا فائدة من تقسيمهم الى طبقات) [٢٣]

ثم يعود البغدادي ليتناول النثر ووجوه الاستشهاد به، ويرى البغدادي جواز الاستشهاد بالحديث النبوي وحديث اهل البيت وان كان منقولاً بالمعنى لان المهم هو القول – كما ذكرت – فاعتبار تدوين الرواية في زمن جواز الاحتجاج هو وحده كافٍ للاستشهاد، وذلك لعدم فساد اللغة في هذه المرحلة واعتبارها حجة بإجماع النحويين ان صحت، ويذكر البغدادي من جواز الاستشهاد به أمثال ابن مالك، وكذلك الشارح المحقق ثم يذكر من منعه ويرد عليه كما يأتي ((وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان، وسندهما أمران:

أحدهما ان الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه واله وسلم انما رويت بالمعنى وثانيهما ان أئمة النحو المتقدمين من المصرين لم يحتجوا بشيء منه)) [٢٤]

ومن هنا ينطلق البغدادي لإبداء رأيه النقدي بخصوص هذه المسألة ويستدل منطقياً على بطلان المسخ:

((ورد الأول – على تقدير تسليمه – بأن النقل بالمعنى كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظٍ بلفظ يصح الاحتجاج فلا فرق على ان اليقين غير شرط، بل الظن كاف) [٢٥]

ثم يعود البغدادي لدحْض الرأي الثاني قائلاً

((ورد الثاني بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به والصواب جواز الاحتجاج بالحديث النحوي في ضبط الفاظه. ويلحق به ما روي عن الصحابة واهل البيت، كما صنع الشارح المحقق)) [٢٦]

لقد زاد البغدادي الصحابة واهل البيت بالخصوص في جواز استخدام أحاديثهم في الضبط النحوي واعتباره حجة في انشاء القاعدة النحوية، ومن الواضح ان البغدادي كان ملماً بالمنطق وهو شيء واضح من استخدامه التقسيم في الرد وكذلك اعتماده على الحجج العقلية في مقابلة الحجج النقلية.

ثالثاً: رأيه في (ذا الخرق)

لقد قام البغدادي بعرض رأيه النقدي بحنكة وذكاء، مستدركاً على كبار علماء الادب أمثال الامدي، ومن خلال هذا الرأي تستطيع ان تلمس مدى اطلاع البغدادي على كتب الادب فهو لا يترك صغيرة او كبيرة الا وذهب فيها محققاً وشارحاً ومنها رأيه في ذي الخرق الذي لن يتم معناه ما لم تطرقنا الى عرض الرأي بالتفصيل.

يقول البغدادي: ((نسب أبو زيد في نوادره هذا الشعر لذي الخرق الطهوي قال: ((وهو جاهلي)) ومن لقب من الشعراء من بني طهية ذا الخرق ثلاثة: أحدهم خليفة بن حمل بن عامر ..... ولم يذكر هذا صاحب العباب ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهلياً، فلا يظهر ان هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة)) [٢٧] وفي هذا تحقيق ونفيٌ في النسبة، أي نسبة الشعر الى شعراء معينين وهذا لا يقدم عليه الا من كانت عنده باع طويلة وشأن عظيم في الادب اذ انه سوف يعترض على رأي العيني في النسبة كما يأتي:

((وقال العيني: ان ذا الخرق الطهوي صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال ولا أدرى من اين نقله.) [٢٨] اذ ان جملة ((لا أدرى من اين نقله)) لها معنيان.

الأول: تكون بمعنى الاستنكار، أي انه يستنكر النقل لعدم وجود من يذكر هذا الشيء من القدامى فهو يكذبه.

الثاني: انه فعلاً لا يعلم وهو غير مطلع على المصادر القديمة، وطبعاً من الممكن ترجيح الامر الأول ذلك ان السياق يدل على انه منكراً اذ انه لو صدق قول العيني – وهو مدار بحثه – لتحقق أكثر ولدعم رأي العيني ولكنه أشار الى ذلك منكراً وكأنه يريد ان يقول: انا بحثت كذلك عن الموضوع ولم أجد النسبة ولا أدرى من اين نقل العيني هذا الكلام ثم يناقش البغدادي شارح شواهد المغني اللبيب حول نسبة الابيات قائلاً:

((وقال شارح شواهد المغني: وفي المؤتلف والمختلف للامدي ان اسمه قرط شاعر جاهلي، سمي بذلك لقوله: جاءت عجافاً عليها الريش والخرق)) [٢٩] ومن هنا ينطلق البغدادي ليناقش شارح شواهد المغني وخطأه في النقل وهو رأي نقدي بامتياز وتحقيق لما ورد عنده: ((وفيه ثلاثة أمور: الأول ان الامدي لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه الى قرط. الثاني انه لم يقيّد قرطاً بكونه جاهليا. الثالث ان هذا الشعر ليس لقرط، وانما هو لخليفة بن حمل كما تقدم آنفاً، وفيه ايضاً ان الرواية ((غرثى عجافا)) لا ((جاءت عجافا)) [٣٠] لقد اعترض المحقق على فقرة ذكر الامدي للشاعر قائلاً ان الحق انه ذكره في موضع متقدم وهو

(ص ١٠٩) [٣١] وهذا لا ينفي الآراء القيمة حول الشاعر ونسبة الشعر له من قبل البغدادي ومناقشته للوجوه المحتملة حول النسبة بل تدل على عمقه واطلاعه العميق في الادب العربي فأنه لا يمر مرور الكرام بالروايات، بل يمر ممحصاً ومحققاً وعارفاً بما يروي ويكتب.

خلاصة البحث

بعد هذه الرحلة الممتعة مع كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب لمؤلفه عبد القادر البغدادي توصل الباحث الى عدد من النتائج:

اولاً: ان كتاب خزانة الادب للبغدادي هو كتاب نحوي بامتياز، ولكن مع توجهاته النحوية فهو لا يخلو من آراء نقدية أدبية جميلة ومميزة جديرة بالدراسة والبحث والتنقيب.

ثانياً: يمتلك البغدادي اسلوباً نقدياً مميزاً من خلال استخدامه الجانب العقلي والمنطقي بالإضافة الى الرواية النقلية في اصدار الحكم النقدي فضلا عن اللمحة التهذيبية في محاورة الأساتذة والادباء ما يدل على سلوك العالم المتواضع.

ثالثاً: ان البغدادي محقق بامتياز فهو يتناول الروايات من أصولها ولا يسلم لأكبر الأسماء بل يحاول البحث متأكداً من المعلومة التي قاموا بنقلها وفاحصاً ومنقباً محترفاً، مما يبني بعقلية الباحث الناقد الحصيف .

رابعاً: ان كتاب خزانة الادب به حاجة الى دراسة تفصيلية باحثة عن الآراء النقدية والأدبية الموجودة فيه وهي كثيرة وقيمة لذلك يرى الباحث ان تكون الدراسة بعنوان رسالة ماجستير او أطروحة دكتوراه حول الآراء النقدية والأدبية في مؤلفات عبد القادر بن عمر البغدادي.

هوامش البحث

١- ينظر: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، محمد امين بن فضل الله المحبي، مكتبة الخياط، بيروت، د.ت
ينظر: تاريخ الدولة الصفوية في إيران، محمد سهيل طقوش، دار النفائس بيروت ٢٠٠٩: ٥٦
٢- ينظر: الدولة العلمية العثمانية، محمد فريدبك، مؤسسة كتاب، بيروت: ٧٥
٣- ينظر: خلاصة الأثر: ٢ / ٤٥٢
٤- ينظر: خلاصة الأثر: ٢ / ٤٥٥
٥- ينظر: خلاصة الأثر: ٤٥٣/٢
٦- ينظر: خزانة الادب ١ / ٨ لم ينسب المحقق هذه الاخبار لاحد
٧- الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥ م

٨- خلاصة الأثر : ٤٥٨/٢
٩- ينظر : (المقدمة) شرح ابيات مغني اللبيب ، عبد القادر البغدادي ، غ : عبد العزيز رباح ، دار المأمون
١٠- ينظر : خلاصة الأثر ، ٤٥٣/٢
١١- ينظر : شرح ابيات مغني اللبيب ٨ / ١٢٨
١٢- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، عبد السلام محمد هارون ج١: ٣٣/١
١٣- م.ن : ٣٣/١
١٤- خزانة الادب، عبد القادر البغدادي، ٣٤/١
١٥- م. ن: ٣٤/١
١٦- خزانة الادب، ٣٤/١
١٧- م . ن : ٣٤/١
١٨- خزانة الادب : ٣٤/١
١٩- خزانة الادب : ٦/١
٢٠- خزانة الادب : ٦/١
٢١- م . ن : ٦/١-٧
٢٢- خزانة الادب : ٧/١
٢٣- م . ن : ٨/١
٢٤- خزانة الادب : ج ٩/١
٢٥- م .ن : ٩/١
٢٦- خزانة الادب : ج ٩/١
٢٧- خزانة الادب : ١ / ٤٢ – ٤٣
٢٨- خزانة الادب : ٤٣/١
٢٩- م . ن: ١ / ٤٣
٣٠- خزانة الادب : ٤٣/١
٣١- ينظر : خزانة الادب : ١ / ٤٣ ((الحواني))

مصادر البحث

- القرآن الكريم.
- تاريخ الدولة الصفوية في إيران، محمد سهيل طقوش، دار النفاس بيروت لبنان، ٢٠٠٩.
- تاريخ الدولة العثمانية العلمية، محمد فريدبك، مؤسسة كتاب بيروت لبنان - د.ت.
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٤ ١٩٩٧.
- خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، محمد امين بن فضل الله المحبي، مكتبة خياط، بيروت لبنان، د. ت.

- شرح ابيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح واحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث بيروت ط٢ – ١٩٨٨.
- الموجز في تراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، محمد محمود الطفاحي، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٨٥.